الفصل الأول

يثرب قبل الهجرة النبوية

ظَل اليهود يعانون من التشتيت في بلاد الروم " بلاد أوربا " بعد أن شردهم " بختنصر " البابلي بسبب سوء أخلاقهم وتصرفاتهم وعداواتهم للإنسانية جمعاء .

حيث اتهموا بقتلهم الأنبياء وأكلهم الربا و نشرهم الرذائل القبيحة بين المجتمعات واتهموا بمسئوليتهم عن دم المسيح عليه السلام ومما زاد من اضطهادهم بين الشعوب ، استغلالهم لعناصر غير يهودية في كسب المال...

كما تناول هذا السخط والاضطهاد مظاهر شتى ففرضت عليهم قيود اجتماعية واقتصادية وسياسية وحرم عليهم امتلاك الأرض ومزاولة الكثير من المهن الحرة ...

كما فُرض عليهم عدم الإقامة في بعض المدن ، فُعزلوا تمامًا في أقاليم خاصة بهم ، وبعض المدن التي كانوا يعيشون فيها كانت تحيط بها أسوار وحوائط عالية ، وكان الدخول والخروج من هذه الأحياء محدودًا ولم تكن لهم حرية التنقل خارج هذه الأحياء .

نظر اليهود حولهم فلم يجدوا لهم مَلاذًا آمنا في العالم يلجئون إليه فِرارًا من اضطهاد الروم النصاري لهم إلا جزيرة العرب، فهاجروا إلى الجزيرة العربية حيث لم يكن للروم سلطان عليها وسكنوا يثرب وخيبر وغيرهما .

وكانت التوراة قد بشرت بظهور نبي جديد يخرج من جبال فاران إشارة إلى مكة ، وتكون يثرب عاصمة مكة ودار هجرته ، فسبق اليهود إليها طمعًا في أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل فينقذهم من ذل النصارى الروم ويحتمون به من هذا الاضطهاد...

يا سبحان الله !

هم الذين قتلوا الأنبياء وينتظرون نبيًّا ، فما من أمة من الأمم حظيت بمثل هذا العدد من الأنبياء ولكن لم يعرفوا قدر هذه النفحة عليهم .

﴿ ...وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾ (١)

ونجدهم يبحثون عن نبي ليحميهم من ذل النصارى الروم ، وهذا هو شأن اليهود عبر الأزمان .

هاجر اليهود إلى يثرب ، وبعث الله نبيه ورسوله ﷺ وعلم اليهود أنه من العرب وليس من بني إسرائيل فتحرك الحقد في قلوبهم ونار الحسد في نفوسهم مع أنهم

﴿ ...يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ...﴾ (٢)

وتعالوا لنرى ماذا حدث في يثرب من اليهود لما علموا بظهور النبي بمكة المكرمة

١- سورة النساء من آية ١٥٥

٢- سورة البقرة من آية ١٤٦.

المشهـــد الأول

علمهم بـرسالـة النبـي ﷺ

في حصن كعب بن الأشراف :

زعيم بني قريظة جلس جماعة من اليهود ومعهم من يهود بني النضير جماعة أخرى يتحدثون في مجالسهم وما رأوه من اضطهاد على مر العصور.

فقال كعب بن الأشراف :

يا معشر اليهود ألا نفكر لنا في وسيلة تجعلنا في أمان دائم إلى أن نملك هذه الدنيا .. ولاسيما إن الحرب بين الأوس والخزرج لا تهدأ ولا تنتهي ...

فقال له وجدي بن أخطب :

أو على الأقل إلى أن يبعث الله من بيننا هذا النبي الذي يتحدث عنه أحبارنا ونستطيع أن ننتصر على أعدائنا ونفعل ما يحلو لنا ..

فقال أبو رافع الأعور :

أنا أرى أن نخادع الأوس والخزرج ونُظهر لهم الحب والسلام حتى إذا تمكنا منهم وكنا قوة بالنبي المنتظر نقتلهم ونجليهم عن يثرب .

فقال كعب بن الأشرف :

حَسَناً ما قلت يا أبا رافع ، نِعمَ الرأي ما رأيت فنحن يا معشر اليهود نضْطهد على مر الأيام والسنين منذ كان الفراعنة بمصر يركبون أجدادنا بدلاً من الحمير ليقضوا حوائجهم ...

فقال وهب بن يهوذا :

لا تذكرنا يا كعب بما فعله الفراعنة مع أجدادنا ... ولا تذكرنا بما فعله " بختنصر " البابلي حين جاس خلال ديارهم وفرقهم في الأرض ولا تذكرنا بما فعله الروم معنا واتهامهم لنا بقتل المسيح عيسى ابن مريم ....

سلسلة ابن برهام :

لا تتحدثوا بمثل هذه الأحاديث فتسمعنا الأوس والخزج فيعيرونا بما حدث لأجدادنا ، ويعلموا أنهم سرقوا الحلي والذهب من الفراعنة وصنع لهم السامري عجلاً جسدًا له خوار من هذا الذهب .

كعب بن راشد :

ولما نكتم هذا الأمر أليس نبي الله موسى هو الذي قال لأجدادنا :

"لا تمضوا فارغى الأيدي وعليكم أن تحتالوا وتفعلوا جميع الحيل لسلب المصريين وسرقة متاعهم من الذهب والفضة والثياب" .

أبو رافع الأعور:

بل إن موسى أمر بقتل كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجل بمضاجعة ما قتلوها .

سلسلة بن برهام :

ما هذا الذي تتحدثون عنه ، أوصلت بكم السفاهة للكذب على نبيكم كفاكم هُراء وسُخرية . ألم يكفكم تطاول أجدادِكم على الرب ﷻ حيث وصفوه بصفات تشبه صفات البشر...

ووصفوه بأنه ينتقل من مكان إلى مكان ويتحرك في الأرض ، ويتكلم مع الإنسان ويبكي على طوفان نوح ومن كثرة بكائه رمدت عيناه .. وأنه خلق الكون

في ستة أيام واستراح من التعب في اليوم السابع واستلقى على ظهره واضعًا إحدى رجليه على الأخرى ..

أبو رافع الأعور .. مقاطعاً سلسلة :

ألم يأكل الله ويشرب ويتلذذ بالطعام والشراب ، وينام ويجلس ويقوم ويلعب ويجلس معنا.. ويتمشى في الجنة ويثور ويغضب ويرتكب الأخطاء ويندم كما نفعل نحن .

كعب بن راشد :

نعم إنه فرد يشبه غيره من المخلوقات وليس معصومًا من الخطأ أو الطيش ولقد سمعت أن الرب تصارع مع يعقوب (إسرائيل) ذات يوم فصرعه يعقوب وغلبه وأوقعه أرضًا فأعطاه العهد أن شعب إسرائيل مبارك إلى الأبد . وأنهم الشعب المختار من قبل الرب وان مَنْ عداهم حيوانات وخنازير .. ونحن وحدنا أبناء الله وأحباؤه ..

أبو رافع الأعور :

ألم يتزوج الرب من مريم وأنجب منها عيسى وعيسى ابن الله كما تقول طوائف النصارى ..

سلسلة بن برهام :

يا معشر اليهود كفاكم مهاترات وسفاهات . إن الله لم يتزوج وليس له صاحبة وعيسى ليس ابن الله وليس له أب فالله خلقه بكلمته وأمه ليست بغيًّا ولا عاهرة ...

أبو رافع الأعور :

ألم يقتله أجدادنا ويصلبوه لأنه تطاول عليهم فقالوا للملك اليوناني آنذاك اقتله ، فقتله وصلبه .

سلسلة بن برهام :

هذا كلام هراء لم يحدث وأنتم قوم بهت لا تقدرون الأمور وتدلسون الحقائق

فقال كعب بن الأشرف :

وما حقيقة هذه الأمور يا حبرنا وعالمنا ؟

فقال سلسلة :

إن عيسى لم يقتل ولكن رفعه الرب إليه ..

فقال فنحاص :

إذن من الذي قُتل وصُلب ؟

قال سلَسلة :

إن الرب قد شبه لأجدادكم صورة عيسى في شخص رجل من حواريه فصلبوه .. ورفع الرب عيسى إليه وسوف ينزل في آخر الزمان ويخلص العالم من الظلم ومن شر اليهود أحفادكم ويقتل المسيح الدجال الذي هو من نسلكم .

فقام كرم بن قيس وقال في حدة :

أي شيء تتحدثون عنه وتتركون ما جئنا من أجله وهو العمل على أن نشعل نار الفتنة بين الأوس والخزرج ، حتى إذا ما أوقعنا بينهم وأشعلنا نار الحرب بينهم كنا نحن في أمن وأمان .وانتفعنا من وراء هذه الحرب ببيع السلاح ولاسيما وأكثرنا يتاجر في السلاح .. وكنا نحن في أمن وأمان ؟

وهم هكذا يتحدثون وإذا برجل من اليهود يأتي مسرعًا ويقول : يا معشر اليهود أما علمتم ماذا حدث ؟ فقالوا له : ماذا حدث يا رجل ؟

فقال : لقد ظهر في مكة رجل من قريش يدعي النبوة يُدعى محمد بن عبد الله .

فقال فنحاص :

من أين أتيت بهذا الخبر الكاذب يا رجل ؟ نبي من قريش من ولد إسماعيل وليس من ولد إسحاق إن النبي المنتظر نبي آخر الزمان من اليهود منا نحن معشر اليهود ...

فقال سلسلة :

انتظر يا فنحاص إن نبي آخر الزمان مكتوب في كُتبنا وله أوصاف عندنا ونحن نعرفه كما نعرف أبناءنا ..

فقال فنحاص :

أخبرنا يا حبرنا عن علامات هذا النبي وأوصافه ...

فقال سلسلة :

لقد وصفت التوراة نبي آخر الزمان :

" يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب " أي صياح في الأسواق " ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ولم يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا تلك هي أوصافه يا قوم ، فهو يصلح العالم ويطهره من رجسه وشره ، ويخرج من أرض فنار بمكة ويقيم بيثرب .

فقال فنحاص :

إذن هو ليس منا فَلِمَ كنا نتباهى بهذا النبي ونتوعد الأوس والخزرج ؟

فقال رافع بن الحارث :

هيا بنا يا قوم لنعرف صدق هذا الخبر المشئوم الذي جاء به نذير الشؤم أين زعيم بني النضير حُيي بن أخطب ؟

وانصرف الجميع يبحثون عن حُيي بن أخطب .

المشهـــد الثانـــي

اليهـود وبـن سلـول

وفي حصـن حُيـي بـن أخطـب زعـيم بـني النضـير، يجلـس ومعـه جماعـة مـن بـني النضـير " سـلام بـن الحقيـق " و" أبـو رافـع بـن الحقيـق " ، ومـن يهـود بـني قينقـاع " زيـد بـن اللصـيت " و" عزيزيـة بـن أبـي عزيـز" ، ومـن يهـود بـني قريظـة " كعـب بـن أسـد " و" وهـب بـن زيـد " ، ومـن يهـود بـني رزيـق " لبيـب بـن أعصـم " ، ومـن يهـود بـني حارثـة " كنانـة بـن صـوريا " ، ومعهـم " عبـد الله بـن أُبـي بـن سـلول " الخزرجـي" كـبير المنـافقين في يثـرب ، وجماعـة مـن الأوس وعلـى رأسـهم كـبيرهم " قـيس بـن الخطـيم " يتحـدثون في تنصـيب عبـد الله بـن أبـي بـن سـلول رأس المنـافقين حاكمًـا على يثـرب ويخططـون لهـذا الأمـر ليس حبًّـا في عبـد الله وإنمـا لإشـعال نـار الفتنـة بـين الأوس والخـزرج ولضـمان اسـتقرارهم وأمـنهم فهـم لا يسـتقرون إلا علـى حسـاب زعزعة الأمن عند الآخرين .

حُيـي بن أخطب :

يـا بـن سـلول مـاذا تريـد منـا إلا أن نجمـع لـك مـالاً كـثيراً ؟ فـإذا زاد مالـك استطعت أن تهيـىء نفسك لهـذا المنصـب الجديـد فـلا يعلـو صـوتٌ على صـوتك ولا رأيٌ على رأيك ..

سلام بن الحقيق ... مقاطعًا له :

يـا حيـي إن عبـد الله لـيس في حاجـة إلى مـال ، وإنمـا يحتـاج منـا إلى نصـرة ومنعـة فنقـف معـه ونؤيـده كـي يكـون ملكًـا على يثـرب كلـها ، ولا داعـي لإعطائـه مـالاً فنحن في حاجة إلى هذا المال ..

حيـــي :

نعـم إن يثـرب في حاجـة إلى زعـيم وحـاكم يتمتـع بالـدهاء والحنكـة ، ولا يصـلح لهذا المنصب إلا ابن سلول ...

زيد بن اللصيت في صوت خافت :

نعـم ونحـن نقـف معـه بالدعايـة والإعـلان لـه ... فنسـير بـين قبائـل اليهـود والمجتمعات الأخرى لمبايعته وتأييده ...

ولكن إذا تولى هذا المنصب الخطير ماذا يفعل بنا ؟

حيـــي : ماذا تقصد من وراء هذا الكلام ؟

أبو رافع بن الحقيق :

يـا كـبير بـني النضـير واليهـود ، ومـاذا نحتـاج منـه إلا كمـا يحتـاج الرعيـة إلى الحـاكم ؟ نريـد منـه النصـرة عنـد الظلـم وتـذليل الصـعاب .. وأن ينظـر إلينـا بعـين العطف والرعاية فنحن أحوج ما نكون إلى ذلك ..

عبد الله بن سلول ، ضاحكاً :

عجبًـا لكـم يـا معشـر يهـود ! لا تفعلـون شـيئًا بـدون مقابـل فمصـلحتكم أولاً وأخـيرًا وإلا فـلا حاجـة لكـم بـأي شـيء آخـر ، ومـع ذلـك فأنـا رهـن إشـارتكم وتصـرفكم ...

حيي : ضاحكاً ويضحك الجميع :

نعـم يـا عبـد الله ، نحـن يـا معشـر اليهـود نحـرص كـل الحـرص علـى الحيـاة وطول العمر وجمع المال .

فإذا عاهدتنا على الوقوف بجانبنا ونصرتنا كنا معًا على العهد مخلصين ...

فقال ابن سلول :

يا معشر اليهود أعاهدكم على ذلك كما أعاهد كبير الأوس " قيس بن الخطيم " على ذلك ..

وقبل أن يكمل كلامه إذا بالباب طارق .. فيقوم الخادم : فيفتح الباب .. سيدي أبو ياسر بن أخطب .. سيدي وجدي بن أخطب .. وسيدي كعب بن الأشرف ..

حُيـــي : من بالباب يا غلام ؟

الخـــادم :

سيدي أبو ياسر ووجدي ، وكعب بن الأشرف وأبو رافع الأعور وكعب بن راشد ..

حيي : بقوم مسرعاً وينادي ...

تعال يا أبا ياسر ، ادخل يا وجدي ادخلوا جميعًا ، ما الخطب ؟

أبو ياسر :

إن الخطب جلل والأمر خطير بل بالغ الخطورة جئناك بذل الدهر كله يا أخي .

حيـــي:

ما الخطب يا رجال ؟ تكلموا .. إلى هذا الحد الأمر عظيم ادخلوا .. فيدخلون داخل الحصن .

يقول أبو ياسر : عمتم مساءً يا قوم ، لِمَ هذا الاجتماع ؟

ابن سلول :

ماذا دهاكم أنتم ؟ وما الذي حدث ؟

كعب بن الأشرف :

لقد ظهر بمكة نبي آخر الزمان يدعي محمد بن عبد الله وقد أتانا الخبر الآن فجئنا إلى حصن زعيم بني النضير لنتبين صدق هذا الخبر المشئوم ...

ابـــن سلول :

وما الخطب في ذلك .إن النبي الذي ظهر بمكة ونحن هنا بيثرب بيننا وبينه مئات الأميال تقطعها أكباد الإبل في أيام .. ولن يصيبنا ضرر من هذا النبي المزعوم هو بمكة ونحن بيثرب ..

ثم إنني سوف أكون حاكمًا على يثرب ولن يدخلها أبدًا ما دمنا فيها وما دمت أنا رئيسًا وملكًا عليها .

حيي بن أخطب : في غضب وحدة :

نبي من مكة قرشي وليس منا نحن اليهود إنه لخبر شؤم يجب أن نتيقن من صحته ، وإذا كان حقيقة والله لتكونَنَّ العداوة بيننا وبينه أبد الدهر وما لمنا أنفسنا على تلك العداوة .

ابـــن سلول :

ماذا دهاك يا حيي ؟ ماذا دهاكم يا معشر يهود ؟ وأنت يا زعيم الأوس اتركوا الأمور لي ...

حيـــي : مقاطعاً له ..

أرجئ هذا الأمر يا بن سلول حتى نتحقق من صدق هذا الخبر.

المشهد الثالث

"عبادة الأصنام"

دار عمرو بن الجموح سيد بني سلمة وقد اتخذ من داره صنمًا من خشب يسمى مناة ...

وهناك كانت تذهب الناس من يثرب ومن أهل البادية لتقديم القرابين والعبادة .. والدعاء .. واستجلاب الخير والرزق .

يجلس عمرو بن الجموح وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وأسيد بن حضير زعيم الأوس ويقف أناس حول الصنم يقربون القرابين ومنهم من ينحني أمامه ومنهم من يدعوه ...

فيتقدم أسيد بن حُضير إلى جوار معاذ بن جبل ويقول له :

يا معاذ بن جبل : أحقًّا هذا الخبر الذي سمعناه .

معـــاذ : وما الخبر يا عماه ؟

أسيـــد : يقولون بأنه ظهر رجل في مكة يدعى النبوة .

معـــاذ : وما الخطب في ذلك ؟

أسيـــد : إنه يقول بأنه إله واحد وليست آلهة متعددة ...

معـــاذ :

نعم إنه لخبر صادق .. فقد ظهر نبي آخر الزمان الذي بشرت به الكتب السماوية التوراة والإنجيل . وإن ما يقوله يا عماه لصدق فهذه الآلهة التي نعبدها لا تنفع ولا تضر ولا تغني من الله شيئًا .

أسيـــد :

تقول التوراة أهي التي نزل بها موسى على بني اسرائيل والإنجيل الذي نزل به عيسى.

معـــاذ : نعم وقد صدقت التوراة وصدق الإنجيل .

أسيـــد : أهو النبي الذي يقصده اليهود ويستنصرون به علينا ؟

معـــاذ :

نعم إنه النبي الذي يستنصرون به علينا وإذا دخلوا في الحرب مع أحد دعوا الله به فنصرهم .

أسيـــد :

حقًّا يا بني ، إنه منهم . وبهذا سينتصرون علينا ويخرجوننا من يثرب ويسكنونها كما وعدوا .

معـــاذ : يا عماه إن هذا النبي من قريش من ولد اسماعيل .

أسيـــد :

أهو من بني هاشم وكنانة وينتهي نسبه إلى اسماعيل يا بني ، إننا نعرف أن الأنبياء يأتون من بني اسرائيل وعرفوا بكثرة الأنبياء .

معـــاذ :

نعم لقد عرفوا بكثرة أنبيائهم ولكن يا للأسف يقتلون أنبياءهم ويكذبونهم ولم يرعوا حق هذه النعمة عليهم وينتظرون نبيًّا آخر ، حتى يمارسوا معه جريمة القتل البشعة .

معاذ بن عمرو بن الجموح :

أحقًّا يا معاذ ، لقد قتلوا أكثر من مائتي نبي في يوم واحد .

معاذ بن جبل :

نعم لقد سمعنا أحبارهم يتحدثون عن ذلك .

عمرو بن الجموح : يقترب منهم قائلاً :

ما الخطب يا أُسيد ؟ ماذا دهاكم ؟ ماذا حدث يا معاذ ؟ ماذا حدث يا ولدي؟

أسيـــد : لقد ظهر رجل يدعي النبوة في مكة يريد أن يجعل الآلهة إلهًا واحدًا .

عمرو : متهكماً وهو سكران يترنح .

يجمعهم على من ؟ على إساف ، أم نائلة ، أم هبل ، أم اللات ، أم العزى ، أم يجمعهم على مناة ، أما لو جمعهم على مناة هذا الذي نعبده ويرزقنا ويحمينا ونقرب له القرابين والنذور.. لو فعلها لأحسن صنعًا وهو يضحك بسخرية .

معاذ بن جبل :

يا عماه إن النبي الجديد يدعو إلى عبادة الخالق الرازق الذي يحيى ويميت ويعطي ويمنع ويشفي ويمرض ..

قال عمرو :

أجننت يا معاذ ؟ وهل هناك إله غير هذا الإله ويشير إلى مناة ؟

معاذ : وهو يبتسم :

دعنا من هذا كله ، المهم إن هذا النبي لم يأت من بني اسرائيل فقد كانوا يستفتحون علينا بنبي آخر الزمان ويصفونه لنا بصفته التى ظهر بها ويقولون " اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم وها هو قد بعث من غيرهم ".

عمرو بن الجموح :

لا تخبروا أحدًا بهذا الخبر يا أبنائي ، لعله أن يكون غير صادق وليته يكون ذلك.

معاذ بن عمرو :

ولماذا يا أبي تتمنى كذب هذا الخبر ؟ أهذا الإله الذي نعبده ينفع أو يضر ؟

و :

يا بني ، إذا كان هذا صحيحًا فإن هذا الإله سوف يُكسر ونفقد مركزنا بين قبائل العرب إنهم يأتوننا من كل مكان ويحضرون القرابين وننتفع بها أنا وأنت وأمك وكله من أجل مناة هذا .

معاذ بن جبل :

نعم إنهم قوم جهال لا يعرفون شيئًا هيا بنا يا معاذ بن عمرو ، نخرج كي نجد حيلة للوصول إلى هذا النبي .

معاذ بن عمرو :

خذني معك يا معاذ لا تتركني هنا فقد ضقت صدرًا بهذا المكان ..ثم يهمس في أذن معاذ بن جبل لابد وأن نحطم هذا التمثال بعد أن نقابل هذا النبي ونتعرف منه على الدين الجديد ..

معاذ بن جبل :

حسنًا ، لابد لنا أن نتخلص من هذه المهاترات والسخافات ، هيا بنا يا أسيد بن خضير

أسيـــد :

خذوني معكم يا إخواني كي أذهب إلى ساحة الرماية والتدريب فهي أفضل مما تقولون ..

عمرو بن الجموح :

اخرجوا لا رددتم مرة ثانية .. نبي ! أي نبي هذا ؟ إله ، أي إله هذا .. غير مناة الخير.. الذي يجلب الرزق .. وهو ينحني أمام الصنم .. وينظر فيجد خروفًا بجوار الصنم فيحمله ويدخل إلى بيته ..

المشهـــد الرابـــع

" بيـــت المـــدارس "

كان لليهود العرب مواضع وأماكن يتدارسون فيها .. حيث يعلمهم رجال دينهم من الأحبار أحكام الشريعة اليهودية ويقصون عليهم أيامهم الماضية ويفسرون لهم ما جاء في التوراة وذلك لتوعيتهم بأصول دينهم ونقل تراث أجدادهم وعرفت أماكن تعليمهم في الجاهلية باسم بيت المدارس .

وهذه الأماكن أو المعاهد التعليمية اليهودية تقابل المعهد التعليمي للعرب الوثنيين في الجاهلية والذي عرف باسم دار الندوة وقد اعترف النبي ﷺ بهذه المعاهد اليهودية ولم يعترض على اتخاذها أماكن للدراسة .

وفي بيت المدارس وقف حبرهم " كعب بن مانع الحميري " وهو كعب الأحبار يحدثهم عن أنبياء بني اسرائيل وكثرتهم وقال لهم :

يا معشر يهود ، إنها نعمة من الله أن يمن علينا بهذا العدد الوافر من الأنبياء ولكننا لم نرع هذه النعمة ، لذلك بعث الله خاتم الأنبياء من العرب .

فقال سلام بن مشكم :

يا حبرنا ، دعنا من نبي آخر الزمان ، طالما أنه ليس منا ولا نعرفه ، وحدثنا عن نبي الله موسى .

فقال كعب بن الأحبار :

إن نبي الله موسى كان كليم الله وكان له دلال على ربه فما طلب منه شيء إلا أعطاه إياه ، ولكن يا للأسف لم يطعه أجدادنا وكانوا يرفضون دعوته في مواقف كثيرة .

قال كنانة بن الربيع :

وما هذه المواقف الذي عصوه فيها يا حبرنا ؟

كعب الأحبار :

لو تحدثت عن هذه المواقف ما كفانا وقت نتحدث عن قصة البقرة حينما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم . أم نتحدث عن أصحاب السبت حينما نهاهم الله عن اصطياد الحيتان يوم السبت فحفروا حياضاً تقع فيها يوم السبت ويأخذونها يوم الأحد .

ولكن سوف أحدثكم عن إيذاء أجدادكم لنبي الله موسى .

قال كنانة بن الربيع :

وماذا فعل أجدادنا بنبي الله موسى ؟ فقد كان أفضل أنبيائنا .

قال كعب بن الأحبار :

لما يئسوا من عدم سكوته ودعوته اتهموه بالأدرة والبرص .

قال كنانة :

وما الأدرة يا كعب ؟

كعب الأحبار :

الأدرة هي انتفاخ بالخصيتين ولكن الله برأه من هذه التهمة .

قال شاس بن قيس :

لعله قد نزل كلام بالتوراة ليبرئه من هذه الفرية .

كعب الأحبار :

الذي حدث أن نبي الله موسى نزل النهر ليستحم ووضع ثوبه على حجر ، فجرى الحجر بثوب موسى فصار موسى يجري خلفه خارج الماء ويقول : ثوبي حجر ثوبي حجر

" أي ثوبي يا حجر " إلى أن وقف الحجر في مجتمع بني إسرائيل وموسى مكشوف العورة فظهر لبني إسرائيل أنه بريء من العيب الذي اتهموه به .

فقال مخيرق وهو من علمائهم وأغنيائهم :

ولكني قرأت غير ذلك يا كعب

كعب الأحبار :

لعلك اطلعت علي ما لم نطلع عليه ، فأخبرنا بما قرأت يا مخيرق .

مخيـــرق :

لقد صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون ودفنه موسى فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : أنت قتلته .. وكان ألين لنا منك وأشد حياء فآذوه إيذاء شديدًا .

كنانـــة : وكيف برأه الله عز وجل من هذه التهمة ، أم هو فعل ذلك ؟

مخيـرق :

بل أمر الله عز وجل الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل حتى يروا أنه ما به أثر قتل .. وقيل بأن الرب قد أحيا هارون وبرأ موسى ومات ..

سلام بن مشكم :

يا علماءنا ولكني سمعت من الحصين " عبد الله بن سلام " غير ذلك

كعـــب : وماذا سمعت يا بن مشكم ؟

سلام بن مشكم :

قال : إن قارون استأجر امرأة بغيًّا لتقذف موسى على رأس الملأ ، فعصمه الله وبرأه من ذلك فحينما جاءت المرأة وجمع قارون بني إسرائيل قالت المرأة : ما زنى موسى بي ، ولكن قارون هو الذي أعطاني صرة من النقود ، كي أقذفه أمامكم وهو بريء .

كنانـــة :

وماذا حدث لقارون ؟ لعل الله قد انتقم منه شر انتقام .

ســـلام :

نعم لقد دعا نبي الله موسى على قارون وكان من قومه فانتقم الله منه وخسف به الأرض فلما خسف به الأرض قال أجدادكم : إن موسى قد دعا على قارون ليخسف به الأرض ويأخذ ماله .

كنانـــة :

إن قارون كان عنده مال كثير وقد طمع موسى في ماله ، لذلك دعا عليه..

ســـلام :

نعم إن قارون كان يمتلك أموالاً كثيرة من جميع النعم ولكن موسى لما سمع من بني إسرائيل هكذا فدعا على ماله فخسف الله ﷻ به وبداره وماله الأرض ولم يَتْبَقَّ من قارون أي شيء أو أثر على وجه الأرض . فقام رجل يدعى (عزل بن شمويل) من يهود بني قريظة وقال هذا الكلام لا ينبغي أن يقال أو نتدارسه فيما بيننا لأنه كلام يسيء لنا فما يسيء إلى أجدادنا يُسِيءُ لنا .

كرم بن زيد :

نعم ، ولاسيما ونحن مقبلون على حرب شعواء ، فهذا الدين الجديد الذي ظهر في مكة والنبي الذي ادعى النبوة زورًا يهدد حياتنا واستقرارنا بعد أن شعرنا بالأمن والأمان في يثرب

عزال بن شمويل :

نعم ينبغي أن نتحدث عن الشعب السامي الذي اختاره الرب من بين الشعوب وأن ما عدانا فهم حيوانات وخنازير .. وأن شعب إسرائيل مبارك إلى الأبد .. واليهودي إنما هو من جوهر الرب كما أن الولد من جوهر أبيه.. ونحن أبناء الله وأحباؤه .

فقال سلام بن مشكم :

حسنًا ما صنعتم ، ينبغي أن تسود هذه النغمة بين قبائل العرب في أرجاء الجزيرة العربية وخارجها .

فقال عزيز بن أبي عزيز من أحبارهم :

يا معشر يهود ، لا ينبغي أن نكثر من هذه الشعارات الكاذبة والبراقة فلم يصدقنا أحد وننسى أهم شيء في محاربة الدين الجديد .. وهو الحرص على جمع المال من أي طريق وبأي وسيلة .. ولكن الوقت قد انتهى الآن وسوف نتعلم في الحصة القادمة كيفية المعاملة مع غير اليهود ...

المشهد الخامس

" تكملة بيت المدارس "

وعاد اليهود مرة ثانية إلى بيت المدارس وجلس أحبارهم وكان قد جاء " الحصين " " عبد الله بن سلام " وكان يسمى الحصين ولما أسلم سماه الرسول ﷺ عبد الله بن سلام . وهو من كبار أحبارهم .

قال كنانة بن الربيع :

يا عزيز لقد وعدتنا في الحصة الماضية أن نتعلم كيفية المعاملة مع غير اليهود.

عزيـــز :

نعم ينبغي أن نعرف المقاييس والمعايير للمعاملة بيننا أولاً وكذلك بين الأميين .

كنانـــة : ومن الأميون حتى نعرفهم ؟

عزيـــز :

الأميون هم العرب وبمعنى أشمل الأمىّ عندنا يطلق على كل من ليس بيهودي فالناس عندنا قسمان يهود وأميون .

سلام بن مشكم :

أعتقد أن معاملة اليهودي لليهودي لابد وأن تكون قائمة على نظام العدل ، والمساواة، وعدم الظلم ، وإعطاء كل ذي حق حقه .. أما معاملة غير اليهود لابد أن يكون لها نظام آخر تكون الغلبة والسيادة فيه لليهودي ...

عزيـــز :

نعم يجب أن تكون المعاملة مع غير الأميين بالخيانة والغش والتدليس والمماطلة .

فنحاص بن عازوراء : ضاحكًا

فإذا أعطاني أحد منهم دينارًا فلا أرده إليه وأماطله في أداء الحق حتى إذا ما نفر من كثرة المطالبة سكت وترك الدينار.

كعب الأشراف :

وأين نجد هذه الأمور يا حبرنا وعالمنا ؟ وإذا قال لنا أحد لم هذه المعاملة وتلك الخيانة ؟ فماذا نقول له ؟

عزيـــز :

إن هذه النصوص موجودة في التوراة فإذا بايعنا غير اليهود فقولوا ليس علينا في الأميين سبيل . أي ليس علينا حرج في ظلمهم فنحن شعب الله المختار.

فنحاص بن عازوراء :

قال وهو يهتز وقد كان بديئا سمينا إذن يا معشر اليهود ، عليكم أن تكثروا من اخذ المال من الأعراب حتى إذا أسلموا رفضنا رد الأموال إليهم ، وقلنا لهم ليس لكم علينا شيء لأنكم تركتم دينكم فسقط عنا دينكم. ولو قال شيئا لقلنا : هو حكم التوراة ، وصمت قليلاً وقال : وما أظن التوراة أمرت بذلك .

عزيـــز :

ومن الأمور المستباحة مع الأميين أنه يحل لنا التعامل معهم بالربا الفاحش لأخذ أموالهم وسلبهم متاعهم لكي يكونوا دائمًا في حاجة إلينا .

فنحـاص :

بالفعل هم دائمًا في حاجة إلينا فنحن معنا المال وتجار السلاح فمنا الحدادون والخياطون والتجار..

عزيـــز :

كما ينبغي علينا نشر الفساد ، والفسق ، والفجور، والدعارة ، والتزوير، والتجارة في الرقيق الأبيض ، كي نفسد أخلاق الآخرين ونسيتم أنه لا حياة لنا بدون نشر العداوة والبغضاء والمشاحنة بين الناس حتى نسود العالم بأسره !

فنحـــاص :

نعم يا عزيز كفانا تشريد في البلاد يجب أن نكون أسياد العالم وملاكه حتى لا نشرد في الأرض مرة ثانية .

عزيـــز :

واجب علينا إذا أبرمنا عهدًا ووجدناه صالحًا لنا ، أقررناه ، وإذا لم نجد فيه خيرًا لنا نبذه ونقضه فريق منا غير الذي عقد الصلح حتى لا يقال عنا إننا ننقض العهود والمواثيق فيعاهدوننا مرة ثانية ولا يفقدون الثقة فينا .

وعلينا أن نتظاهر دائمًا أننا متحدون حتى ولو كانت قلوبنا شتى ..

" فقام الحصين " " عبد الله بن سلام " في حدة قائلاً :

يا معشر يهود خافوا الرب فإنه قد أخذ على أجدادكم الميثاق حينما رفع فوقهم جبل الطور وذكرهم به ..

فنحـــاص : وما هذا الميثاق الذي تحدثنا عنه ؟

" الحصين بن سلام " :

لقد تضمن الميثاق عبادة الله الواحد ، فلا نعبد غيره ، ونصدق رسله ، والعمل بما أنزل في كتبه التوراة والإنجيل والقرآن .

كعب الأشـــراف :

تريدنا أن نؤمن بهذا النبي الذي ظهر بمكة ، وما هذا القرآن الذي تقول عنه يا حصين؟

الحصيـــن :

هذا هو القرآن الكتاب المنزل على نبي آخر الزمان ونحن مطالبون أن نؤمن به .

عزيـــز :

يا معشر يهود ليس عندنا نص في التوراة يحتم علينا الإيمان به ولكن عندنا أوصاف هذا النبي ..

فنحـــاص :

دعونا من هذا ، أكمل يا حصين باقي الميثاق الذي أخذه الله على أجدادنا.

الحصيـــن :

كمـا تضـمن الميثـاق الإحسـان إلى الوالـدين ، وإلى ذي القربـى ، وصـلة الـرحم ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين ، فهم أولى بالإحسان من غيرهم .

كذلك تضمن فريضة الصلاة ، والزكاة ، والتمسك بها ، لأنهما قوام الدين وأساس تقويم سلوك الفرد والمجتمع .

كعب بن الأشراف :

أتريد منا أن نعمل كل هذه الأمور ونتمسك بها وهي أعمال وأفعال تنافي واقع حياتنا فنحن نتعامل بالربا ونشرب الخمر ونزني ونشهد الزور من أجل مصالحنا فقط .

اذهب أنت ومن معك فنفذ العهد والميثاق على الرب أما نحن فلا حاجة لنا بهذا .

الحصين بن سلام :

يا معشر يهود : لا تفعلوا كما فعل أجدادكم وقالوا لموسى :

﴿ ... فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]

فنحـــاص :

وماذا تقصد بهذا ؟ وأي شيء يدخلون ؟

الحصيـــن :

أقصد الأرض المقدسة فلسطين ولو دخلوا لتمتعنا بالأمن والاستقرار إلى يوم القيامة وما تفرقنا وتقطعنا في الأرض شيعًا ولجمع الرب شملنا .

فنحـــاص :

يا حصين ، كفانا مواعظ واترك عزيرًا يكمل لنا باقي الشروط التي تجعلنا نسود العالم .

---

١ - سورة المائدة من الآية ٢٤.